

# صيدنايا ومعلولة:

## من المدن التاريخية الآرامية في سوريا

< بقلم: د. علاء الحمارة

تستغرق الرحلة بالسيارة من وسط دمشق إلى مدينة صيدنايا الآرامية القديمة الساحرة الواقعة على بعد حوالي 30 كلم شمال دمشق في التلال المحاذية لجبال لبنان الشرقية أقل من ساعة. تشتهر المدينة بمزاراتها المسيحية المقدسة والاديرة وكذلك أهلها الذين ينتمون إلى الأقلية السريانية. السريان، الذين أعطوا اسمهم إلى كل سوريا الحديثة. هم أحفاد الآراميين القدماء. والمنطقة التي أطلق عليها اسم "الهلال الخصيب" والتي تشمل فلسطين وسوريا ولبنان وأجزاء من الأردن والعراق وتركيا كانت يوماً ما أرضاً للعديد من دول المدن الآرامية. وربما كان الإغريق أول من أطلق على السكان الآراميين اسم السوريين. وقد وردت تسمية "آرام" لأول مرة حوالي عام 2300 قبل الميلاد. كثير من القبائل الآرامية كوّنت وضعها العرقي الخاص واكتسبت أسماءً خاصة، مثل الكنعانيين في فلسطين، التدمريين في سورية، النبطيين في الأردن والكلدانيين في العراق وهلم جرا. وقد جرى التحدّث باللغة الآرامية في مختلف لهجاتها منذ آلاف السنين من قبل الأقوام الذين كانوا يعيشون بين سواحل شرق البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين. إنها اللغة الأصلية للسيد المسيح (ع). والكتاب المقدس مكتوب أصلاً بالآرامية القديمة.



The Fertile Valley of Saidnaya  
وادي معلولة الخصيب



The old and the new in Maaloula

القديم والحديث في معلولة

مدينتا صيدنايا ومعلولة الجميلة، اللتان تقفان مجتمعتين بشكل مذهل على سفوح جبال قلمون الممتدة نحو 20 كم شمال صيدنايا، هما مركزان دينيان وثقافيان للأقلية السريانية-الآرامية. وأهم الآثار في المدينة هو دير سيدة صيدنايا، وهو يبدو من بعيد وكأنه قلعة جاثمة على الرابية الصخرية في وسط المدينة، والدير الذي يستضيف مدرسة ومسكنا للراهبات وداراً للأيتام، هو موقع معروف يحج إليه المسيحيون والمسلمون على حد سواء. وأحب ما فيه هو أيقونة العذراء مريم التي يقال إن القديس لوقا قد رسمها وهي محفوظة في غرفة مظلمة صغيرة تشبه الضريح، المصلى الرئيسي له حاجز أيقوني خشبي عتيق والعديد من الأيقونات المطلية بالذهب. أسس الدير الامبراطور البيزنطي جوستينيانوس في القرن السادس الميلادي.

هناك العديد من الكنائس والأديرة والأضرحة المخصصة لمختلف القديسين موزعة بين منازل البلدة الصغيرة، العديد منها قديم جداً لكنه خضع لترميمات شاملة. يوجد حول البلدة



كبار الأمراء وهي من اعتنقوا المسيحية وهربت للاختفاء في معلولة، وأرسل والدها الجنود لقتلها بسبب اعتناقها العقيدة الجديدة. وعندما وجدت نفسها محاصرة على المنحدرات ابتهلت إلى الله ليساعدها، فاستجاب الله تعالى لدعائها وفتح مرا ضيقاً في الجبال (وهو الفجوة بين الجبال التي نراها اليوم) ما أتاح لها الهرب إلى كهف صغير في المنحدرات. دير مار تقلا الذي يضم رفات سانت تقلا له شعبية وموقع لحج المسيحيين من كافة أنحاء الشرق الأوسط العربي. ويعود دير سيدة صيدنايا ودير سانت تقلا إلى بطريركية الروم الأرثوذكس في دمشق، وهي من أقدم الطوائف المسيحية في العالم (فقد أنشئت في القرن الرابع الميلادي).

دير مار سركيس (أو القديس سرجيوس) يعتقد أنه قد أسس في القرن الرابع الميلادي، وهو وقف للقديسين سركيس وباخوس الروماني وهما جنديان رومانيان، اعتنقا المسيحية، ولذلك حكم عليهما بالموت لانهما رفضا عبادة المشتري إله الروم، المصلى الرئيسي في الدير يكشف عن أطلال رومانية وبيزنطية قديمة وداخله في البناء الحديث. والدير موقع للحج، خصوصا لدى الكاثوليك في سوريا ولبنان.

تشتهر معلولة بمعمارها التقليدي والأصيل في القسم القديم من المدينة، العديد من المباني القديمة، خصوصا الكنائس ودور العبادة، تم إصلاحها بشكل كبير. للأسف فإن ما يجده الزوار أن العديد من المنازل هدم واستبدل بالمباني الحديثة التي توفر ظروفًا معيشية أكثر راحة. إن السير في الممرات والسلالم المتلوية والمعلقة ونصف المسقوفة في كل أنحاء المدينة القديمة هو تجربة فريدة. إنها جولة في مجمل تاريخ الأقباط السريانية-الآرامية وثقافتهم ودينهم ولغتهم ومعمارهم. وكلا المدينتين يلاقيان إقبالا كبيرا من السياح المحليين والعرب والعالميين. وكلاهما مدرجان في برامج الجولات السياحية وهما ما ينبغي لكل سائح أن يزورها. التاريخ الغني والخصوصية الدينية فضلا عن موقعهما الجغرافي الرائع وضيافة أهلها جعلتا المدينتين من أهم المواقع التي لا تنسى في سوريا، فهما دليل على ثراء المجتمع السوري الحديث دينيا وثقافيا، ومعالم لا بديل لها في الحضارة الإنسانية. ■

لقد جُحّت مدينة معلولة ذات المنظر الرائع جدا في المحافظة على آثارها وطابعها الدافئ أكثر من الطابع العصري لصيدنايا. ولا تزال الآرامية (السريانية) الحديثة محكية على نطاق واسع في المدينة. الكهوف المحيطة بالمدينة تدل على أن المدينة كانت مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ وواحدة من أولى المراكز المسيحية. أهم مناطق الجذب السياحي هو شِعْب القديسة تقلا، وحسب الأسطورة، فإن تقلا هي ابنة أحد

مواقع دينية تستحق الزيارة، منها دير مار توماس ودير شيروبيم يحتلان موقعا استراتيجيا في أعلى نقطة في سلسلة الجبال المحلية. تطل صيدنايا على واد خصب غني ببساتين العنب والزيتون التي تستضيف الكثير من المطاعم في الهواء الطلق والفنادق. والمدينة تتوسع بشكل مطرد مع كثير من مواقع البناء الجديدة، والعديد من هذه المباني هي منازل صيفية وبيوت ثانية للأغنياء الدمشقيين.



Inside the Church in the Convent of Mar Thecla

كنيسة دير سانت تقلا من الداخل



Inside the Convent in Saidnaya

دير في صيدنايا من الداخل